101.07: Copyright

A.U.B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

A.U.B. LIBRARY

الى الاستاذ الجليل الاديب
المحامي الحقوقي الاديب الغير
محمد الزاهدي والياسيني
اندر كتاب
محمد
١٨ غرة ١٤٢٥

الأب يوحنا قمير
استاذ الفلسفة العربية في جامعة القديس يوسف

181.07
G411Y quA
V.1

الغزالي

والبابا

دراسة - مختارات

الجزء الاول

حقوق النقل والترجمة واعادة الطبع
محفوظة للمؤلف

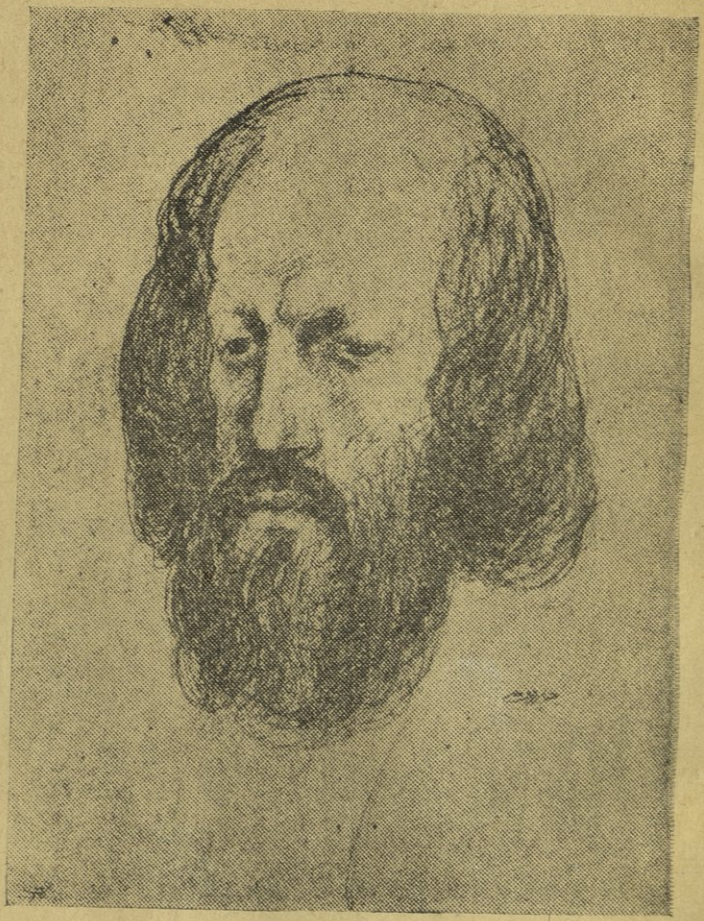

الغزالي

الغزالي

١٠٥٩ — ١١١١ م ٤٥٠ — ٥٠٥ هـ

ترجمته

في حياة كل انسان شطران : احداث خارجيةٌ ، تراها في ما يعمل او يهمل ، ونيّات خفيّة ، كامنة وراء العمل والاهمال .

وان بين الاحداث والنيات تفاعلًا حقًا ، وكثيرًا ما يلتبس المعلول بالعلة ، والاسباب بالنتائج .

وان في حياة الغزالي احداثًا ونيات ، وان الاحداث لا تخلو من تشويش ، والنيات لا تسلم من التباس .

واننا ، اذ نتصدى لترجمة الغزالي ، نتصدى لكل هذه العقبات ، ونحاول ان نتأثره في قيامه ورحيله ، وان نتبين ما حداه الى ذلك من اغراض ، ودفعه من غايات .

❖◆❖

في غزالة ، وهي قرية من اعمال طوس ، احدى مدن خراسان ، ولد ابو حامد محمد . . . حجة الاسلام ، واليها انتسب[1] .

---

١) قال ابو سعد عبد الكريم السمعاني — وقد ولد في طوس نفسها ، بعد وفاة الغزالي بسنتين ، وكتب كتابًا شهيرًا في الالقاب — ان اسم الغزالي مشتق من غزّالة ، وهي قرية قريبة من طوس . وانا نعرف رجلا اخر بهذا الاسم ، يدعى الغزالي الاكبر ، ربما كان عمّ الغزالي هذا او جده . واذا زاي الغزالي مخففة ، ولم يلقب بهذا الاسم لان اباه كان يغزل الصوف ، ناهيك عن ان غازل الصوف يدعى غزّالًا لا غزّاليًا .

وكان ابوه فقيراً يعيش من غزل الصوف ، وكان محباً للعلم يحضر مجالس الفقهاء والوعاظ ، ويتمنى على الله ان يرزقه بنين كهؤلاء . ورزقه الله ما اشتهى ، فكان له محمد هذا ، اشهر فقهاء عصره ، واحمد اخوه ، وكان واعظاً يزدحم عليه الناس .

ويلي الغزالي باليتم ، ففقد اباه صبياً . ويتم بعضهم نعمة ، لانه اعتماد على النفس ، وسير الى غير آفاق .

ويتم الغزالي وضعه في رعاية وصي صوفي . ورعى هـذا الصوفي صداقة الوالد ، فاعتنى بالصبي جسداً وروحاً ، والقى فيه بذوراً طيبة ، سوف تنبت غرساً يانعاً ، وتتفتق براعم وازراراً .

على ان هذا الصوفي كان ضيق الحال ، وما خلفه الوالد من مال كان نزراً يسيراً ، فلجأ الولد الى مدرسة خيرية ، يلقن فيها العلم ، وينال القوت . ولسنا ندري في اي عمر ترك وصيه الصوفي ، ولا كم اقام في مدرسته تلك .

على اننا نعلم — ونعلم من الغزالي نفسه — انه كان يحس ، منذ صباه ، بفضول عقلي غريب ، يدفعه الى التهجم على كل مشكلة ، والتفحص عن عقيدة كل فرقة . وان هذا الفضول لثقة بالنفس ، وقلق في العقل ، وسر كل مفاجأة .

وانه هذا التطلع العقلي قاد الغزالي الى نيسابور ، الى مدرستها النظامية ، حيث كان يدرس امام الحرمين ، الشافعي الشهير .

واخذ الغزالي عن استاذه الفقه والمنطق ، واخذ عنه جرأة في النظر ، وخروجاً عن مسالك التقليد . وكان الغزالي تلميذاً متفوقاً ، وكان تفوقه يدفعه الى العجب بالنفس ، وكان امام الحرمين يتمعض لذلك . على ان الاستاذ كان افطن من ان يتجاهل ذكاء تلميذه ، او يظهر الغيرة منه ، بل كان يتبجح به في الظاهر ، ويقول عنه اذا وصفه : « الغزالي بحر مغدق . »

ويموت امام الحرمين سنة ٤٧٨هـ = ١٠٨٥م، ويرى الغزالي نفسه ضائعاً وحيداً.

على انه قد اصبح شاباً، وشاباً ناضجاً، له من العلم ما يجابه به الاعلام، ومن الفصاحة والذكاء ما لا يحده طموح.

وكان في العراق وزير سلجوقي كبير، غيور على العلم واهله، غيور على اهل الصلاح، يعاتبه سلطانه ملكشاه على ما ينفقه في سبيل المدارس، فيجيبه من كتاب: «انا اقمت لك جيشاً يسمّى جيش الليل، اذا نامت جيوشك ليلًا، قامت جيوش الليل على اقدامهم، صفوفاً بين يدي ربهم، فارسلوا دموعهم، واطلقوا السنتهم، ومدّوا الى الله اكفّهم بالدعاء لك ولجيوشك. فانت وجيوشك في خفارتهم تعيشون، وبدعائهم تبيتون، وببركاتهم تمطرون وترزقون.»

واتى الغزالي نظام الملك هذا، واختلط باهل العلم من مجلسه، واظهر في مناظرة الائمة تفوقاً وبراعة. وظلّ في ظل نظام الملك اعواماً ستة، يريه فصاحة وبلاغة، ويريه مودة واخلاصاً، حتى ارسله استاذاً الى مدرسة بغداد النظامية، سنة ٤٨٤ هـ = ١٠٩١ م.

وكانت المدارس النظامية تلك وسيلة لتأييد السنة ونفوذ السلاجقة، كما كان الازهر في مصر وسيلة لتأييد الشيعة ونفوذ الفاطميين. واذا كان على الغزالي ان يناصر السلطان القائم ضد كل دعوة علوية، وان يدافع عن اراء اهل السنة ضد المبتدعة.

ويبدأ الغزالي التدريس، يحف به ثلاثمائة طالب، واذا به يفكر في مذهب مكين، تسلم فيه السنة، ويلتئم الحق، ويبار الضلال.

ولعل ثقة الغزالي بعقله، ولعل ما لقنه عن امام الحرمين من اعراض عن التقليد، اوصله الى ما وصف لنا من شك في كتاب المنقذ. ولكنه تعليل سوف نعود اليه، ولكنه شك لم يدم سوى شهرين، واذا لتتأثر الغزالي في بحثه عن الحق.

وان علم الكلام اول ما يتعرض له الغزالي ، يصنف فيه ، ويكشف عن نقصه ، وينتهي من ذلك اواخر سنة ٤٨٤ هـ = ١٠٩١ م ، او اوائل سنة ٤٨٥ هـ = ١٠٩٢ م .

ثم يبدأ درس الفلسفة « بمجرد المطالعة ، من غير استعانة باستاذ[١] »، وفي اوقات مختلسة اثناء التصنيف والتدريس . ويطّلع على منتهى علومها «في اقل من سنتين[١]» ، ثم يواظب على التفكر بها ، بعد فهمها ، « قريباً من سنة[١] » ، يعاودها ويرددها ، حتى يتبين ما فيها من خداع وتلبيس . واذا استغرق درسه الفلسفة قريباً من ثلاث سنوات ، ولعله في السنتين الاوليين وضع كتاب « مقاصد الفلاسفة » ، ولعله في السنة الثالثة وضع كتاب « تهافت الفلاسفة » . وقد جاء في احدى المخطوطات ان كتاب التهافت قد تم في اول سنة ٤٨٨ هـ ، في ١١ محرم = ١٠٩٥ م ، في كانون الثاني .

وينتقل الغزالي الى درس مذهب اهل التعليم ، او الباطنية . والباطنية هذه احدى فرق الشيعة ، لها في الدين عقائد خاصة ، ولها في السياسة اهداف معادية للسلطان القائم . من هذه الفرقة كان الاسماعيليون ، ومنها كان القرامطة . في سبيل الدعوة الى غاياتها كتب اخوان الصفاء ما كتبوا ، ولاجل قلب الحكم القائم كانت الثورة القرمطية في البصرة سنة ٤٨٣ هـ = ١٠٩٠ م . ويخبرنا الغزالي انه ألف عدة كتب تفنيداً لهذا المذهب . ويخبرنا ايضاً ان امراً جازماً من حضرة الخلافة ورد عليه بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم ، فلم يسعه مدافعته ، « وصار ذلك مستحثاً من خارج ، ضميمة للباعث الاصلي من الباطن[٢] .» وان هذا الكتاب هو « المستظهري » ، وان الخليفة المستظهر بالله (٤٨٧–٥١٢ هـ =

---

١) المنقذ من الضلال : ص ٨٥ ٢) المنقذ : ص ١٠٩

١٠٩٤–١١١٨ م) هو الذي امره ، سنة ولي الخلافة ، وان الغزالي قد بحث عقائد هذه الفرقة ، في الاشهر الاولى من سنة ٤٨٨ هـ = ١٠٩٥م.

ويأتي دور الصوفية.

لقد اظهر الغزالي نقص علم الكلام ، وخداع الفلاسفة ، وضلال الباطنية ، فما عساه يجد في الصوفية ؟

لقد نشأ الغزالي على يـد والد تقي ، وتربّى على اخلاق وصي صوفي ، ثم لقن تعاليم السنة على امام الحرمين ، واذاً كان كل شيء يعده كي يلائم بين السنة والصوفية ، ويتعصب لهما.

ينتهي الغزالي الى الصوفية ، فاذا هي علم وعمل.

ويحصل العلم في « قوت القلوب » لابي طالب المكي (+ ٣٨٨ هـ = ٩٩٨ م) ، وكتب الحارث المحاسبي (+ ٢٤٣ هـ = ٨٥٧ م) ، وفي ما بقي من الجُنيد (+ ٢٩٧ هـ = ٩٠٩ م) ، والشبلي (+ ٣٣٤ هـ = ٩٤٥ م) ، والبسطامي (+ ٢٦٤ هـ = ٨٧٧ م) ، وغيرهم من المشايخ ، فاذا اخص خواص الصوفية « مـا لا يمكن الوصول اليه بالتعلم ، بل بالذوق ، والحال ، وتبدل الصفات[1] .» واذاً عليه ان يحيا الحياة الصوفية ، ويسلك الطريقة ، ان يترك التدريس في بغداد ، وما يجده من مال وجاه ، وان يغادر جوّه العائلي الدافئ ، وما يغمره من حب الزوج والبنين ، ويذهب زاهداً متأملاً سائحاً ، كي يخبر الحالة الصوفية ، ويبدي حكماً صائباً فيها.

وهنا يحدثنا الغزالي عن نزاع داخلي عنيف ، عن تردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعي الآخرة ، دام « قريباً من ستة اشهر » ، اولها رجب سنة ٤٨٨ هـ = ١٠٩٥ م . ويخبرنا ان هذا التردد افضى به الى مرض ، بطلت معه قوة الهضم ، وضعفت القوى ، وعقل اللسان عن

١) المنقذ : ص ١٢٤

التدريس، وقطع الاطباء طمعهم من العلاج. وانتهى هذا التردد بان سهل الله على قلبه الزهد، فترك كل شيء، وغادر بغداد في ذي القعدة سنة ٤٨٨ هـ.

وانّا نعتقد ان كثرة الدرس والتصنيف هو ما امرض الغزالي. وانه، اثناء هذا المرض، قويت عاطفة الخوف، وسطت فكرة الاخرة، وهان ما بقي من العمر، فقوي ذاك التردد، واشتد القلق، ثم كان الحدث الاكبر في حياة الغزالي. واذاً نعكس الاحداث، ونجعل المرض علة لا معلولاً.

ولكن ألا تكون الاحداث السياسية — كما ظن غير واحد — السبب الحقيقي لمغادرة الغزالي بغداد؟ وألا لمَ يتظاهر بالذهاب الى الحج، وينوي السفر الى الشام؟ ثم لمَ يعود الى وطنه، وكان قد عزم ألا يعود اليه؟

هذه اسئلة جديرة بان نبحثها، ونجيب عليها، ولكن دعنا، قبل ذاك، نطلعك على ما جرى للغزالي، منذ ترك التدريس في بغداد الى حين تركه ثانية في نيسابور.

وانّا نعتمد خاصة رواية الغزالي في كتاب المنقذ، مشيرين بعد ذاك الى ما يستحق الاشارة في روايات مترجميه.

قال الغزالي في اماكن من المنقذ:

« ففارقت بغداد... ثم دخلت الشام، واقمت به قريباً من سنتين، لا شغل لي الا العزلة والخلوة... فكنت اعتكف مدة في مسجد دمشق، اصعد منارة المسجد كل النهار، واغلق بابها على نفسي.

« ثم رحلت منها الى بيت المقدس، ادخل كل يوم الصخرة، واغلق بابها على نفسي.

« ثم تحركت فيّ داعية الحج... فسرت الى الحجاز.

« ثم جذبتني الهمم، ودعوات الاطفال الى الوطن، فعاودته بعد

ان كنت ابعد الخلق عن الرجوع اليه. فآثرت العزلة ايضاً ، حرصاً على الخلوة ، وتصفية القلب للذكر. وكانت حوادث الزمان ، ومهمات العيال ، وضرورات المعاش ، تغير فيّ وجه المراد ، وتشوش صفوة الخلوة. وكان لا يصفو الحال الا في اوقات متفرقة ، لكني مع ذلك لا اقطع طمعي منها ، فتدفعني عنها العوائق ، واعود اليها.

« ودمت على ذلك مقدار عشر سنين. . .

« ثم اني لما واظبت على العزلة والخلوة ، قريباً من عشر سنين. . . قدّر الله تعالى ان حرّك داعية سلطان الوقت من نفسه ، لا بتحريك من خارج ، فامر امر الزام بالنهوض الى نيسابور. . وبلغ الالزام حدّاً كان ينتهي ، لو اصررت على الخلاف ، الى حد الوحشة[1] . . .

« ويسر الله الحركة الى نيسابور ، للقيام بهذا المهم ، في ذي القعدة سنة تسع وتسعين واربعمئة. وكان الخروج من بغداد في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين واربعمئة. »

يقصّ علينا الغزالي هذه القصة ، وهو استاذ في نيسابور ، « وقد اناف السنّ على الخمسين » ، اي بعد سنة ٥٠٠ هـ = ١١٠٦ م. ولا نظنه كتب المنقذ بعد هذه السنة بكثير ، ولا انه درّس طويلاً بعد كتابة المنقذ ، لاننا نعلم انه توفي سنة ٥٠٥هـ ، وانه عاد الى طوس في اواخر حياته ، واتخذ الى جانب داره مدرسة للفقهاء ، وخانقاه للصوفية. ولعل مصرع فخر الملك سنة ٥٠٠ هـ ، قد عجل في تركه التدريس في نيسابور ؛ كما ان مصرع نظام الملك ، سنة ٤٨٥ هـ = ١٠٩٢ ، قد

---

١) ان هذا السلطان هو سنجر ، الذي ولي خراسان ، نيابة عن اخيه بركياروق ، سنة ٤٩٠ هـ = ١٠٩٦ م. وجاء في طبقات الشافعية الكبرى ان فخر الملك ، وزير سنجر ، وابن نظام الملك ، هو الذي دعا الغزالي الى التدريس ، « والح عليه كل الالحاح ، وشدّد في الاقتراح ، الى ان اجاب. » ومن الطبيعي ان يلح ابن نظام الملك على صديق ابيه ، وقد الحّ باسم السلطان.

يكون اثر في تركه التدريس في بغداد . ولعله اعتزل نهائياً سنة ٥٠١ او ٥٠٢ على ابعد تقدير.

❖❖❖

والآن نستطيع تقرير بعض اشياء :

١ — لا صحة لما ذكره السبكي عن الغزالي ، اذ قال : « ففارق دمشق ، واخذ يجول في البلاد ، فدخل منها الى مصر ، وتوجّه منها الى الاسكندرية ، فاقام بها مدة ، وقيل انه عزم على المضي الى السلطان يوسف بن تاشفين ، سلطان المغرب ، لما بلغه من عدله ، فبلغه موته . واستمر يجول في البلدان . » لا صحة لهذا القول ، لان الغزالي لم يذكر سفره الى الاسكندرية ، ولان يوسف بن تاشفين مات سنة ٥٠٠ هـ ، اي يوم كان يدرّس الغزالي في نيسابور ! وبالتالي لا صحة لكل ما يبنى على هذه النية من فروض سياسية .

٢ — لقد غادر الغزالي بغداد ، وعاد الى وطنه ، اثناء خلافة المستظهر بالله ، واذاً لم يكن للخليفة من تأثير في الذهاب او الاياب .

٣ — لا صحة لما تجده عند اكثر مترجمي الغزالي ، وهو انه قضى عشر سنين منذ مغادرته بغداد الى حين عودته الى طوس ، لان الغزالي قضى عشر سنين في العزلة ، بما فيها اقامته في طوس ، قبل عودته الى التدريس في نيسابور . وسياق حديث الغزالي يدل على ان اقامته في طوس قد طالت ، وانها كانت موزعة بين العزلة وضرورات العيش . ولعل غيبته عن وطنه لم تتجاوز خمس سنين .

٤ — واذاً لم يترك الغزالي بغداد لخصومة بينه وبين بركياروق ، ولم ينتظر موت بركياروق سنة ٤٩٨ هـ = ١١٠٤ م ليعود الى وطنه . ان بركياروق كان مرشّح نظام الملك الى الحكم ، وانه دخل بغداد

سلطاناً سنة ٤٨٧ هـ = ١٠٩٤ م ، وان الغزالي استناب اخاه في التعليم ، على ما يروي السبكي ، وانه قد عاد الى وطنه قبل موت بركياروق. وبالتالي لا شيء يثبت خصومة بركياروق للغزالي ، بل كل شيء ينفيها .

ثم كيف تعلل سياسياً ترك الغزالي التعليم ، وتشرح بعد ذلك تآليفه في التصوف ، ولهجة الاخلاص في رواية هدايته ؟

لقد قتل نظام الملك ، وفسدت الحياة السياسية ، ومرض الغزالي ، ودعت الصوفية الى العزلة والزهد ، فذكر الغزالي نشأته ، وهانت في عينه الدنيا ، فسمع الصوت ، ولبى الدعوة .

واظهر الغزالي عزم الحج ، وهو ينوي الذهاب الى الشام ، لان الشام كان من اوطان الصوفية الزاهرة ، فرام زيارته قبل الحجاز ، ولانه خاف ان تظن به الظنون ، وتقام في وجهه الحواجز ، ولانه كان عازماً على الحج حقاً .

اما عودته الى الوطن ، بعد ان كان نوى الّا يعود ، فنعللها براحة استقامت معها صحته ، وحنين جدّ فيه الى الاهل والاطفال ، كما يعترف هو نفسه . وكم ينوي الناس ولا يفعلون ! ومتى كان الاحجام عن الفعل سبباً كافياً للشك في النيّة ؟

❖❖❖

بقي ان نلم الماماً بنفسية الغزالي .

لقد كان الغزالي عقلًا ذكيًا ، وقد ادرك من نفسه تلك الهبة ، فاذا به كثير التطلع ، جم الفضول ، يتهجم على كل مسألة ، ويجادل في كل معضلة ، يطالع كل كتاب ، ويصنف في كل عقيدة ، وما اكثر ما طالع الغزالي والّف ، وما اكثر ما ناظر وبزّ الاقران .

وقد ادى ذلك بالغزالي الى المباهاة بذكائه ، والعجب بالنفس . الا نراه ينظر الى شبهات عصره ، وضلالات زمانه ، فيجد افضاحها

« ايسر من شربة ماء.[١] » ؟ ألا يحدثنا، حين يحدثنا عن تركه التدريس في بغداد، عن الحاح الولاة عليه بالبقاء ، ولوم ائمة العراق له ، وعن تعليل ذلك بقولهم : « هذا امر سماوي ، وليس له سبب الا عين اصابت اهل الاسلام ، وزمرة العلم[٢] » ؟ ثم الا يعود الى التدريس في نيسابور ، لان سلطاناً الحّ ، وارباب قلوب نصحوا ، وصالحين رأوا منامات ، والهاً وعد « باحياء دينه على رأس كل مئة .[٣] » ؟

هو الشعور بذكائه ، وهي شهرة صلاحه ، دفعاه الى ان يباهي ، وان ينشر ما يؤثر الحياء طيّه . على انك قد تلطف من دهشتك ، اذا علمت ان صالحين كثيرين باهوا بما باهى به الغزالي ، وانه دائب على اصلاح نفسه ، ناسب الى الله كل فضل ، مؤمن ان لا حول ولا قوة الا به : « اني لم اتحرك ، ولكنه حركني ، واني لم اعمل ، ولكنه استعملني ، فاسأله ان يصلحني اولاً ، ثم يصلح بي ويهديني .»[٤]

وان اهل عصره رأوا فيه ما رأى من نفسه ، فرثاه الابيوردي من قصيدة :

مضى ، واعظم مفقود فجعت به من لا نظير له في الناس يخلفه !

❖◆❖

---

١) المنقذ : ص ١٥٠
٢) المختارات : ص ٤٩
٣) المختارات : ص ٥١

اراؤه

الغزالي شخصية غنية الروح ، واسعة الاطلاع ، كثيرة الانتاج ، متشعبة المناحي .

وحياة الغزالي شطران — متباينان من وجوه ، مشتركان في اشياء — يفصلها انقلاب عميق ، واهتداء الى التصوف .

وعقل الغزالي كثير التطلع ، نفور من الانقياد ، نزوع الى اليقين ، عرضة للحيرة والقلق ، هدف لكل مهالك الذكاء .

واذاً ليس من اليسير ان تجمع ما تبدد ، وتلأم ما تشعب ، ان تتبين ما تبدّل ، ولا تذهل عما استمر ، وان تصهر فكرة الغزالي في مذهب متماسك ، وعرض متناسق .

ومع ذاك ، لا بد من هذه المحاولة ، مهما اعترضها من عقبة ، وتعرضت له من خطأ .

❖❖❖

لقد رأى الغزالي اختلاف الخلق في الاديان ، وتعدد المذاهب في كل دين ، وسلطان التقليد في اعتناق هذه وتلك ، ووافق ذلك منه عقلاً ذكياً ، وثقة بالنفس ، فاذا به حائر امام تضارب الاراء ، واذا به يبحث عن الحق ، ويجد في طلب اليقين .

وفي سبيل الوصول الى حق ، والاستقرار على يقين ، تحرر من كل تقليد ، من الرضوخ لرأي امام ، او تعليم والد واستاذ ، ومن الركون الى ايمان موروث . وقد انتهى به هذا التحرر الى البحث عن صدق حسه وعقله ، فالى الشك فيهما .

ومن اجل اجتلاء الحق – بعد ان عاد الى الوثوق بالعقل – جدّ يبحث في صحة احدى فرق اربع : الكلام ، والباطنية ، والفلسفة ، والتصوف .

وبعد البحث والنقد ، وبعد الاختبار الصوفي ايضاً ، رأى ان الحق الخالص ، والنجاة من الهلاك ، لفي الطريقة الصوفية : « ان الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة ، وان سيرتهم احسن السير ، وطريقهم اصوب الطرق ، واخلاقهم ازكى الاخلاق . . . فان جميع حركاتهم وسكناتهم ، في ظاهرهم وباطنهم ، مقتبسة من نور مشكاة النبوة ، وليس وراء نور النبوة ، على وجه الارض ، نور يُستضاء به . »[1]

❖❖❖

هذه هي الخطوط الكبرى لسير فكرة الغزالي ، كما عرضها لنا في قصة حياته ، في « المنقذ من الضلال » .

على ان الغزالي ، حين ألف كتاب المنقذ ، كان صوفياً كبيراً ، له في نشر التصوف هوى ، وفي باقي العلوم رأي خاص . وبالتالي الا يكون تناسى عقلية الاستاذ في بغداد ، لكي يصل حاضره بماضيه ، ويجعل من التصوف هدف كل ابحاثه ؟

ان حياة الغزالي العقلية شطران ، يفصلهما مغادرته التدريس في بغداد ، وان نظرته الى علوم عصره لم تكن واحدة فيهما ، وان من اتخذوا رواية المنقذ اساساً وحيداً لتحديد فكرة الغزالي قد ضلّوا واضلّوا .

وان كتاب المنقذ نفسه يظل سراً مغلقاً ، ومجموعة من المتناقضات اذا لم تنظر اليه من خلال عهدين ، وترى فيه جمعاً بين نفسيتين .

وان خير سبيل ، في نظرنا ، الى فهم الغزالي ، هو ان تدرس اولاً

---

١) المنقذ ص ١٢٢

يشاهد الحاحهم في التعلق بي ، والانكباب عليَّ ، واعراضي عنهم ، وعن الالتفات الى قولهم ، فيقولون : هذا امر سماوي ، وليس له سبب الا عين اصابت اهل الاسلام ، وزمرة العلم !

الانبياء اطباء القلوب

ثم اني لما واظبت على العزلة والخلوة قريباً من عشر سنين ، وبان لي في اثناء ذلك على الضرورة من اسباب لا احصيها ، مرةً بالذوق ، ومرةً بالعلم البرهاني ، ومرةً بالقبول الايماني : ان الانسان خلق من بدن وقلب ، وأعني بالقلب حقيقة روحه التي هي محل معرفة الله ، دون اللحم والدم ، الذي يشارك فيه الميت والبهيمة . وان البدن له صحة بها سعادته ، ومرضٌ فيه هلاكه . وان القلب كذلك له صحة وسلامة ، ولا ينجو « إلا من أتى الله بقلب سليم » ، وله مرض فيه هلاكه الابدي الاخروي ، كما قال تعالى : « في قلوبهم مرضٌ » . وان الجهل بالله سم مهلك ، وان معصية الله ، بمتابعة الهوى ، داؤه الممرض . وان معرفة الله تعالى ترياقه المحيي ، وطاعته بمخالفة الهوى ، دواؤه الشافي . وانه لا سبيل الى معالجته ، بازالة مرضه وكسب صحته ، الا بادوية ، كما لا سبيل الى معالجة البدن الا بذلك . وكما ان ادوية البدن تؤثر في كسب الصحة بخاصية فيها ، لا يدركها العقلاء ببضاعة العقل ، بل يجب فيها تقليد الاطباء الذين اخذوها من الانبياء ، الذين اطلعوا بخاصية النبوة على خواص الاشياء ، فكذلك بان لي ، على الضرورة ، ان ادوية العبادات بحدودها ، ومقاديرها المحدودة المقدرة من جهة الانبياء ، لا يدرك وجه تأثيرها ببضاعة عقل العقلاء ، بل يجب فيها تقليد الانبياء الذين ادركوا تلك الخواص بنور النبوة ، لا ببضاعة العقل ...

فالانبياء اطباء امراض القلوب ، وانما فائدة العقل وتصرفه ان

عرّفنا ذلك ، ويشهد للنبوة بالتصديق ، ولنفسه بالعجز عن درك ما يدرك بعين النبوة ، واخذ بايدينا ، وسلمنا اليها تسليم العميان الى القائدين ، وتسليم المرضى المتحيرين الى الاطباء المشفقين . والى ههنا مجرى العقل ومخطاه ، وهو معزول عما بعد ذلك ، الا عن تفهم ما يلقيه الطبيب اليه .

فهذه امور عرفناها بالضرورة الجارية مجرى المشاهدة في مدة الخلوة والعزلة .

رجوع ورجوع !

ثم قلت في نفسي : متى تشتغل انت بكشف هذه الغمة ، ولو اشتغلت بدعوة الخلق ، عن طرقهم الى الحق ، لعاداك اهل الزمان باجمعهم ؟ والى تقاومهم ، فكيف تعايشهم ، ولا يتم ذلك الا بزمان مساعد ، وسلطان متدين قاهر ؟

فترخصت بيني وبين الله تعالى بالاستمرار على العزلة ، وتعللاً بالعجز عن اظهار الحق بالحجة . فقدر الله تعالى ان حرّك داعية سلطان الوقت من نفسه ، لا بتحريك من خارج . فامر امر الزام بالنهوض الى نيسابور ، لتدارك هذه الفترة ، وبلغ الالزام حداً كان ينتهي ، لو اصررت على الخلاف ، الى حدّ الوحشة . فخطر لي ان سبب الرخصة قد ضعف ، فلا ينبغي ان يكون باعثك على ملازمة العزلة الكسل والاستراحة ، وطلب عزّ النفس وصونها عن أذى الخلق . . .

فشاورت في ذلك جماعةً من ارباب القلوب والمشاهدات ، فاتفقوا على الاشارة بترك العزلة ، والخروج من الزاوية . وانضاف الى ذلك منامات من الصالحين كثيرة متواترة ، تشهد بان هذه الحركة مبدأ خير ورشد ، قدّرها الله سبحانه على رأس هذه المئة ، وقد وعد الله سبحانه

باحياء دينه على رأس كل مئة . فاستحكم الرجاء وغلب حسن الظن بسبب هذه الشهادات ، ويسر الله تعالى الحركة الى نيسابور ، للقيام بهذا المهم في ذي القعدة سنة تسعٍ وتسعين واربعمئة . وكان الخروج من بغداد سنة ثمان وثمانين واربعمئة . . .

وانا اعلم اني ، وان رجعت الى نشر العلم ، فما رجعت ! فان الرجوع عود الى ما كان ، وكنت في ذلك الزمان انشر العلم الذي به يكسب الجاه ، وادعو اليه بقولي وعملي ، وكان ذلك قصدي ونيتي . واما الآن ، فادعو الى العلم الذي به يُترك الجاه ، ويعرف بـه سقوط رتبة الجاه ، هذا هو الآن نيتي وقصدي وأُمنيتي ، يعلم الله ذلك مني . وانا ابغي ان أُصلح نفسي وغيري ، ولست ادري أأصل الى مرادي ام أُحترم دون غرضي . ولكني اومن ايمان يقين ومشاهـدة انه لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، واني لم اتحرك لكنه حركني ، واني لم اعمل ، لكنه استعملني . فاسأله ان يصلحني اولًا ، ثم يصلح بي ، ويهديني ، ثم يهدي بي ، وان يريني الحق حقًا ، ويرزقني اتبـاعه ، ويريني البـاطل باطلًا ، ويرزقني اجتنابه .

معنى المذهب

لعلك تقول : كلامك ، في هذا الكتاب ، انقسم الى ما يطابق مذهب الصوفية ، والى ما يطابق مذهب الاشعرية وبعض المتكلمين ، ولا يفهم الكلام الا عـلى مذهب واحد ، فما الحق من هذه المذاهب ؟ فان كان الكل حقاً ، فكيف يتصور هذا ؟ وان كان بعضه حقاً ، فما ذلك الحق ؟

فيقال لك : اذا عرفت حقيقة المذهب ، لا تنفعك قط ، اذ الناس فيه فريقان :

فريق يقول : المذهب اسم مشترك لثلاث مراتب :

احداها ما يتعصب له في المباهاة والمناظرات.

والاخرى ما يسار به في التعليمات والارشادات.

والثالث ما يعتقده الانسان في نفسه، مما انكشف له من النظريات.

ولكل كامل ثلاثة مذاهب، بهذا الاعتبار.

فاما المذهب، بالاعتبار الاول، فهو نمط الآباء والاجداد، ومذهب المعلم، ومذهب اهل البلد الذي فيه النشوء. وذلك يختلف بالبلاد، والاقطار، والمعلمين. فمن ولد في بلد المعتزلة، او الاشعرية، او الشفعوية، او الحنفية، انغرس في نفسه، منذ صباه، التعصب له، والذب دونه، والذم لما سواه... ومبدأ هذا التعصب حرص جماعة على طلب الرياسة، باستتباع العوام، ولا تنبعث دواعي العوام الا بجامع يحمل على التظاهر، فجعلت المذاهب في تفصيل الاديان جامعاً. فانقسم الناس فرقاً، وتحركت غوائل الحسد والمنافسة، فاشتد تعصبهم، واستحكم به تناصرهم...

المذهب الثاني ما ينطبق في الارشاد والتعليم، على من جاءه مستفيداً، مسترشداً. وهذا لا يتعين على وجه واحد، بل يختلف بحسب المسترشد، فيناظر كل مسترشد بما يحتمله فهمه... فالمذهب، بهذا الاعتبار، يتغير ويختلف، ويكون مع كل واحد، على حسب ما يحتمله فهمه.

المذهب الثالث ما يعتقده الرجل سراً، بينه وبين الله عزّ وجلّ، لا يطلع عليه غير الله تعالى، ولا يذكره الا مع من هو شريكه في الاطلاع على ما اطلع، او بلغ رتبة يقبل الاطلاع عليه ويفهمه...

فهذا طريق فريق من الناس. واما الفريق الثاني، وهم الاكثرون، فيقولون: المذهب واحد، هو المعتقد، وهو الذي ينطق به تعليماً وارشاداً، مع كل آدمي، كيفما اختلفت حاله، وهو الذي يتعصب له. وهو اما مذهب الاشعري، او المعتزلي، او الكرامي، او اي مذهب من المذاهب. والاولون يوافقون هؤلاء على انهم لو سئلوا عن المذهب انه

واحد او ثلاثة ، لم يجز ان يذكر انه ثلاثة ، بل يجب ان يقال انه واحد .

وهذا يبطل تعبك بالسؤال عن المذهب ، ان كنت عاقلاً . فان الناس متفقون على النطق بان المذهب واحد ، ثم يتفقون على التعصب لمذهب ابيهم ، او معلمهم ، او اهل بلدهم . ولو ذكر ذاكر مذهبه ، فما منفعتك فيه ، ومذهب غيره يخالفه ، وليس مع واحد منهم معجزة يترجح بها جانبه . فجانب الالتفات الى المذاهب ، واطلب الحق بطريق النظر ، لتكون صاحب مذهب ، ولا تكن في صورة اعمى ، تقلد قائداً يرشدك الى طريق ، وحواليك الفٌ مثل قائدك ينادون عليك بانه اهلكك ، واضلك عن سواء السبيل ..

ولو لم يكن في مجاري هذه الكلمات الا ما يشكّك في اعتقادك الموروث ، لتتدب للطلب ، فناهيك به نفعاً . اذ الشكوك هي الموصلة الى الحق ، فمن لم يشك لم ينظر ، ومن لم ينظر لم يبصر ، ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال ، نعوذ بالله من ذلك .

علم الكلام

نقول ان فيه منفعة ، وفيه مضرة . فهو باعتبار منفعته ، في وقت الانتفاع ، حلال ، او مندوب اليه ، او واجب ، كما يقتضيه الحال . وهو باعتبار مضرته ، في وقت الاستضرار ومحله ، حرام .

اما مضرته فاثارة الشبهات ، وتحريك العقائد ، وازالتها عن الجزم والتصميم . فذلك مما يحصل في الابتداء . ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ، ويختلف فيه الاشخاص . فهذا ضرره في الاعتقاد الحق .

وله ضرر اخر في تأكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة ، وتثبيته في صدورهم ، بحيث تنبعث دواعيهم ، ويشتد حرصهم على الاصرار عليه ، ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل . . .

واما منفعته ، فقد يظن ان فائدته كشف الحقائق ، ومعرفتها على ما هي عليه ، وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف . ولعل التخبيط والتضليل فيه اكثر من الكشف والتعريف . وهذا اذا سمعته من محدث او حشوي ، ربما خطر ببالك ان الناس اعداء ما جهلوا . فاسمع هذا ممن خبر الكلام ، ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة ، وبعد التغلغل فيه الى منتهى درجة المتكلمين ، وجاوز ذلك الى التعمق في علوم اخر تناسب نوع الكلام ، وتحقق ان الطريق الى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود . ولعمري ، لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف ، وايضاح لبعض الامور ، ولكن على الندور ، في امور جلية ، تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام .

بل منفعته شيء واحد ، وهو حراسة العقيدة ، التي ترجمناها على العوام ، وحفظها عن تشويشات المبتدعة ، بانواع الجدل . فان العامي ضعيف ، يستفزه جدل المبتدع ، وان كان فاسداً ، ومعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه .

(الاحياء : ١ : ٧٣)

ايها الولد

ايها الولد : النصيحة سهلة ، والمشكل قبولها ، لانها في مذاق متبعي الهوى مرّة ، اذ المناهي محبوبة في قلوبهم ، وعلى الخصوص لمن كان طالب العلم الرسمي ، ومشتغلاً في فضل النفس ، ومناقب الدنيا . فانه يحسب ان العلم المجرد له ستكون نجاته وخلاصه فيه ، وانه مستغنٍ عن العمل ، وهذا اعتقاد الفلاسفة . سبحان الله العظيم ، لا يعلم هذا المغرور انه حين حصل العلم ، اذا لم يعمل به ، تكون الحجة عليه آكد ، كما قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : اشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لا ينفعه الله علمه . وروي ان الجنيد ، قدّس الله سرّه ، رؤي في المنام بعد موته ، فقيل

له : ما الخبر ، يا ابا قاسم ؟ قال : طاحت تلك العبارات ، وفنيت تلك الاشارات ، وما نفعنا الا ركيعات ركعناها في جوف الليل !

❖◆❖

ايهـا الولد : كم من ليالٍ احييتها بتكرار العلم ، ومطالعة الكتب ، وحرمت على نفسك النوم . لا اعلم ما كان الباعث فيه . ان كان نيل غرض الدنيا ، وجذب حطامها ، وتحصيل مناصبها ، والمباهاة على الاقران والامثال ، فويل لك ثم ويل لك . وان كان قصدك فيه احياء شريعة النبي ، صلّى الله عليه وسلّم ، وتهذيب اخلاقك ، وكسر النفس الامّارة بالسوء ، فطوبى لك ثم طوبى لك . ولقد صدق من قال شعرًا :

سهر العيون لغير وجهك ضائع وبكاؤهن لغير فقدك باطل

❖◆❖

ايهـا الولد : عش ما شئت ، فانك ميت . واحبب ما شئت ، فانك مفارقه . واعمل ما شئت ، فانك مجزيّ به .

❖◆❖

ايها الولد : العلم بلا عمل جنون ، والعمل بغير علم لا يكون .

واعلم ان العلم لا يبعدك اليوم عن المعاصي ، ولا يحملك على الطاعة ، ولن يبعدك غدًا عن نار جهنم . واذا لم تعمل اليوم ، ولم تدارك الايام الماضية ، تقول غدًا يوم القيامة : فأرجعنا نعمل صالحًا . فيقال : يا احمق ، انت من هناك تجيء !

❖◆❖

ايها الولد : ينبغي لك ان يكون قولك وفعلك موافقًا للشرع ، اذ العلم والعمل بلا اقتداء الشرع ضلالة . وينبغي لك ان لا تغتر بالشطح وطامات الصوفية ، لان سلوك هذا الطريق يكون بالمجاهدة ، وقطع شهوة النفس ، وقتل هواها بسيف الرياضة ، لا بالطامات والترهات . . .

واعلم بان بعض مسائلك ، التي سألتني عنها ، لا يستقيم جوابها بالكتابة والقول ، ان تبلغ تلك الحالة تعرف ما هي ، والا فعلمها من المستحيلات ، لانها ذوقية . وكل ما يكون ذوقياً ، لا يستقيم وصفه بالقول ، كحلاوة الحلو ، ومرارة المر ، لا يعرف الا بالذوق . . .

واما البعض الذي يستقيم له الجواب ، فقد ذكرناه في احياء العلوم وغيره . ونذكر ههنا نبذاً منه ، ونشير اليه فنقول : قد وجب على السالك اربعة امور :

الامر الاول : اعتقاد صحيح ، لا يكون فيه بدعة .

والثاني : توبة نصوح ، لا يرجع بعدها الى الزلة .

والثالث : استرضاء الخصوم ، حتى لا يبقى لاحد عليك حق .

الرابع : تحصيل علم الشريعة ، قدر ما تؤدي به اوامر الله تعالى ، ثم من علوم الاخرة ما تكون به النجاة . . .

❖◆❖

ايها الولد : . . . ان حاتم الاصم كان من اصحاب الشقيق البلخي ، رحمة الله عليهما . فسأله يوماً قال : صاحبتني منذ ثلاثين سنة ، ما حصلت فيها ؟ قال : حصلت ثماني فوائد من العلم . . . :

الفائدة الاولى : اني نظرت الى الخلق ، فرأيت لكل منهم محبوباً ومعشوقاً ، يحبه ويعشقه . وبعض ذلك المحبوب يصاحبه الى مرض الموت . وبعضه الى شفير الهاوية . ثم يرجع كله ، ويتركه فريداً وحيداً ، ولا يدخل معه في قبره منهم احد . فتفكرت وقلت : افضل محبوب المرء ما يدخل في قبره ، ويؤانسه فيه ، فما وجدته غير الاعمال الصالحة ، فاخذتها محبوباً لي ، لتكون سراجاً لي في قبري ، وتؤانسني فيه ، ولا تتركني فريداً .

الفائدة الثانية : اني رأيت الخلق يقتدون باهوائهم ، ويبادرون الى

مرادات انفسهم ، فتأملت قوله تعالى: «واما من خاف مقام ربه ، ونهى النفس عن الهوى ، فان الجنة هي المأوى» ، وتيقنت ان القرآن حق صادق ، فبادرت الى خلاف نفسي ، وتشمرت بمجاهدتها ، وما متعتها بهواها ، حتى رضيت بطاعة الله ، سبحانه وتعالى ، وانقادت .

الفائدة الثالثة : اني رأيت كل واحد من الناس يسعى في جمع حطام الدنيا ، ثم يمسكها ، قابضاً يده عليها ، فتأملت في قوله تعالى: «ما عندكم ينفد ، وما عند الله باقٍ» ، فبذلت محصولي من الدنيا لوجه الله تعالى ، ففرقته بين المساكين ، ليكون ذخرًا لي عند الله تعالى .

الفائدة الرابعة : اني رأيت بعض الخلق ظنّ شرفه وعزّه في كثرة الاقوام والعشائر ، فاغترّ بهم . وزعم آخرون انه في ثروة الاموال ، وكثرة الاولاد ، فافتخروا بها . وحسب بعضهم الشرف والعز في غصب اموال الناس ، وظلمهم ، وسفك دمائهم . واعتقدت طائفة انه في اتلاف المال ، واسرافه وتبذيره . وتأملت في قوله تعالى: «ان اكرمكم عند الله اتقاكم» ، فاخترت التقوى . . .

الفائدة الخامسة : اني رأيت الناس يذم بعضهم بعضاً ، ويغتاب بعضهم بعضاً ، فوجدت ذلك من الحسد في المال والجاه والعلم . فتأملت في قوله تعالى : «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا» ، فعلمت ان القسمة كانت من الله تعالى في الازل ، فما حسدت احدًا ، ورضيت بقسمة الله تعالى .

الفائدة السادسة : اني رأيت الناس يعادي بعضهم بعضاً ، لغرض وسبب ، فتأملت قوله تعالى : «ان الشيطان لكم عدو ، فاتخذوه عدوًا» ، فعلمت انه لا تجوز عداوة احد غير الشيطان .

الفائدة السابعة : اني رأيت كل احد يسعى بجد ، ويجتهد بمبالغة ، لطلب القوت والمعاش ، بحيث يقع به في شبهة وحرام ، ويذل نفسه ،

وينقص قدره . فتأملت في قوله تعالى : « وما من دابة في الارض ، الا على الله رزقها » ، فعلمت ان رزقي على الله تعالى ، وقد ضمنه ، فاشتغلت بعبادته ، وقطعت طمعي عمن سواه .

الفائدة الثامنة : اني رأيت كل واحد معتمدًا على شيء مخلوق ، بعضهم الى الدينار والدرهم ، وبعضهم الى المال والملك ، وبعضهم الى الحرفة والصناعة ، وبعضهم الى مخلوق مثله . فتأملت في قوله تعالى : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، ان الله بالغ امره ، قد جعل الله لكل شيء قدرًا » ، فتوكلت على الله تعالى ، فهو حسبي ، ونعم الوكيل .

فقال شقيق : وفقك الله تعالى ! اني قد نظرت التوراة ، والانجيل ، والزبور ، والفرقان ، فوجدت الكتب الاربعة تدور على هذه الفوائد الثمانية ، فمن عمل بها ، كان عاملًا بهذه الكتب الاربعة .

❖◆❖

ايها الولد : . . . انه ينبغي للسالك شيخ مرشد مربّ ، ليخرج الاخلاق السيئة منه بتربيته ، ويجعل مكانها خلقاً حسناً . ومعنى التربية يشبه فعل الفلاح ، الذي يخرج الشوك ، ويخرج النباتات الاجنبية من بين الزرع ، ليحسن نباته ، ويكمل ريعه . . .

❖◆❖

ايها الولد : اني انصحك بثمانية اشياء ، اقبلها مني لئلا يكون علمك خصماً عليك يوم القيامة ، تعمل منها اربعة ، وتدع منها اربعة .

اما اللواتي تدع :

احدها ان لا تناظر احدًا في مسألة ، ما استطعت ، لان فيها آفات كثيرة ، فاثمها اكبر من نفعها ، اذ هي منبع كل خلق ذميم كالرياء والحسد والكبر والحقد والعداوة والمباهاة وغيرها . نعم ، لو وقع مسألة بينك

وبين شخص او قوم ، وكانت ارادتك فيها ان تظهر الحق ، ولا يضيع ، جاز البحث . . .

والثاني مما تدع هو ان تحذر من ان تكون واعظاً ومذكّراً ، لان فيه آفة كثيرة ، الا ان تعمل بما تقول اولاً ، ثم تعظ به الناس . . .

والثالث مما تدع ان لا تخالط الامراء والسلاطين ، ولا تراهم ، لان رؤيتهم ومجالستهم ومخالطتهم آفة عظيمة . ولو ابتليت بهم ، دع عنك مدحهم وثناءهم ، لان الله تعالى يغضب اذا مدح الفاسق والظالم . ومن دعا لطول بقائهم ، فقد احب ان يعصى الله في ارضه .

والرابع مما تدع ان لا تقبل شيئاً من عطاء الامراء وهداياهم ، وان علمت انها من الحلال ، لان الطمع منهم يفسد الدين ، لانه يتولد منه المداهنة ، ومراعاة جانبهم ، والموافقة في ظلمهم . . .

واما الاربعة التي ينبغي لك ان تفعلها :

الاول ان تجعل معاملتك مع الله تعالى ، بحيث لو عامل معك بها عبدك ترضى بها منه ، ولا يضيق خاطرك عليه ، ولا تغضب . والذي لا ترضى لنفسك من عبدك المجازي ، فلا ترضَ ايضاً لله تعالى ، وهو سيدك الحقيقي .

والثاني : كلما عملت بالناس ، اجعله كما ترضى لنفسك منهم ، لانه لا يكمل ايمان عبد ، حتى يحب لسائر الناس ما يحب لنفسه .

والثالث : اذا قرأت العلم ، او طالعته ، ينبغي ان يكون علمك يصلح قلبك ، ويزكي نفسك ، كما لو علمت ان عمرك ما يبقى غير اسبوع . . . ولا يمر على عبد يوم وليلة الا ويمكن ان يكون موته فيهما . . .

والرابع : ان لا تجمع من الدنيا اكثر من كفاية سنة .

❖❖❖

ايها الولد : اني كتبت في هذه الفصول ملتمساتك ، فينبغي لك ان

تعمل بها ، ولا تنساني فيه من ان تذكرني في صالح دعائك ... واقرأ هذا الدعاء في اوقاتك ، خصوصاً اعقاب صلواتك :

اللهم ، اني اسألك من النعمة تمامها ، ومن العصمة دوامها ، ومن الرحمة شمولها ، ومن العافية حصولها ، ومن العيش ارغده ، ومن العمر اسعده ، ومن الاحسان اتمه ، ومن الانعام اعمه ، ومن الفضل اعذبه ، ومن اللطف اقربه . اللهم ، كن لنا ولا تكن علينا . اللهم ، اختم بالسعادة آجالنا ، وحقق بالزيادة آمالنا ، واقرن بالعافية غدونا وآصالنا ، واجعل الى رحمتك مصيرنا ومآلنا ، واصبب سجال عفوك على ذنوبنا ، ومنّ علينا باصلاح عيوبنا ، واجعل التقوى زادنا ، وفي دينك اجتهادنا ، وعليك توكلنا واعتمادنا . اللهم ، ثبتنا على نهج الاستقامة ، واعذنا في الدنيا من موجبات الندامة يوم القيامة ، وخفف عنا ثقل الاوزار ، وارزقنا عيشة الابرار ، واكفنا واصرف عنا شر الاشرار ، واعتق رقابنا ورقاب آبائنا وامهاتنا واخواننا واخواتنا من النار ، برحمتك يا عزيز يا غفّار ، يا كريم يا ستّار ، يا عليم يا جبّار ، يا الله يا الله يا الله ، برحمتك يا ارحم الراحمين .

اعمل ، وانه غير مؤمن !

يتكلم الغزالي عن سلوك سبيل السعادة الاخروية ، فيرى ان الناس في ذلك اربع فرق ، وان الفرقة الرابعة ذهبت الى ان الموت عدم محض ، وان الطاعة والمعصية لا عاقبة لها ، فيخاطب من يميل الى اعتقاد هذه الفرقة قائلاً :

وان كنت تظن صحته ظناً غالباً ، ولكن بقي في نفسك تجويز صدق الانبياء والاولياء وجماهير العلماء ، ولو عن بعد ، فعقلك ايضاً يتقاضاك سلوك طريق الأمن ، واجتناب مثل هذا الخطر الهائل . فانك لو كنت في جوار ملك ، وامكنك ان تتعاطى في واحد من محارمه ، مثلاً ،

عملًا من الاعمال ، تظن ظناً غالباً انه يقع منه موقع الرضى ، فيعطيك عليه خلعة ودينارًا ، ويحتمل احتمالًا ، على خلاف الظن الغالب ، انه يقع منه موقع السخط ، فينكل بك ، ويفضحك ، ويديم عقوبتك كل عمرك ، اشار عليك عقلك بان الصواب ان لا تقتحم هذا الخطر . فانك ان فعلت واصبت فمزيته دينار ، لا يطول بقاؤه معك . وان اخطأت فنكاله عظيم ، يبقى معك طول عمرك ، فليس تفي ثمرة صوابه بغائلة خطأه . . . ولهذا قال علي ، رضي الله تعالى عنه ، لمن كان يشاغبه ويماريه في امر الاخرة : ان كان الامر على ما زعمت ، تخلصنا جميعاً ، وان كان الامر كما قلتُ ، فقد هلكتَ ونجوتُ .

SERIAL RECORD
LIBRARY
OF DETROIT

فلاسفة العرب

ظهر :

ابن الفارض : مقدمات في التصوف
دراسة – شعر مختار

ابو العلاء المعري في لزومياته : دراسة – شعر مختار

ابن خلدون : دراسة – مختارات

يظهر قريباً :

ابن رشد : دراسة – مختارات

تمّ طبع هذا الكتاب
في العشرين من شهر تشرين الثاني
سنة ١٩٤٧

المطبعة الكاثوليكية
بيروت

I.A.U.R. LIBRARY

DATE DUE

A.U.B. LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES

00524533